

اسكندر فون همبولد

humboldt , Friederich heinrich Alexander Von,



البارون فون همبولد (١٧٦٩ — ١٨٥٩) ولد بمدينة أن كيب العلامة
الاماني المعروف كاسبار فردريك وولف مقالته المعروف من الاجنحة بشر
سنوات ومات في السنة التي اظهر فيها العلامة داروين كتابه أصل الأنواع. فكان أنه
عاش معظم القرن الذي يدعو به الطبيعيون قرن علم الطبيعة الذهبي (١٧٥٩ —
١٨٥٩) وقد توسطه لامارك المعروف اذ اخرج كتابه فلسفة الحيوان في سنة
(١٨٠٩) .

ويعرف همبولد بأنه عالم طبيعي ورحالة كبير . ولد في برلين في ١٤ سبتمبر سنة ١٧٦٩ . وكان أبوه ضابطاً كبيراً في الجيش البروسي ، وينتمي إلى أسرة من « بوميرانيا » ذات حسب ونسب . واشترك أبوه في حرب السنين السبع وكوفيء أزاء أمانته بوظيفة كبيرة في العصر الملكي . وتزوج في سنة ١٧٦٦ من « ماريا إليزابيت فون كولومب » أرملة البارون « فون هولويد » ورزق منها ولدان الاسكندر وفون همبولد أصغرهما .

وكان همبولد في صغره ضعيف الجسم والعقل ولم تظهر فيه علامات النجابة مطلقاً . غير أن خصائصه ظهرت آثارها في حياته سريعاً ، إذ كان يغرم كل غرام بجميع النباتات والحشرات والاصداف ويكب على التمعن منها والتفحص فيها طويلاً . ومات أبوه فجأة في سنة ١٧٧٩ ، وترك لعناية أمه فقامت عليه خير قيام وعملت بتربيته وواخيه الأكبر عناية تامة . وارادت أن تجعله من رجال السلك السياسي فأكب على الاقتصاد يدرسه حتى أنه في ستة أشهر في جامعة فرانكفورت ، وقبل بسد ذلك بسنة واحدة — ٢٥ ابريل سنة ١٧٨٩ — في جامعة « غوتينجن » حيث كان لها شهرة ترجع إلى محاضرات « هيني » و « بلومنباخ » . ولم يكن لينفق إجازاته السنوية عبثاً بل كان يضيها سائحاً على شواطئ نهر « الرين » منقباً في الاحياء والاحجار . وكان من وراء ذلك أن نشرت له بضعة مقالات ظهرت فيها نجايته الفائقة وقوة ملاحظته الغريبة . ولقد حملته ميوله إلى الطواف والرحيل على أن يصادق « جورج فورستر » بن زوجة هيني ، وهو من رفقاء كابتن كوك في رحلته الثانية ، وعلى الرغم من تنوع دراساته واتساع آفاقها ، فإنه وجهها بكل ما فيه من أمل ويثيق لتكوين عده في المستقبل إذا ما أصبح « رحالة » يبحث في العلم . وهذا ما نال همبولد في سنى حياته . وعلى هذا الأمل درس التجارة واللغات في « همبرج » والجيولوجيا في « فريبج » على « فرنر » والتشريح في « يينا » على « لودر » « والفلك » واستعمال الآلات على « فون زاخ » « وكوهلر » .

وماتت أمه — في ١٩ نوفمبر سنة ١٧٩٦ — فتخلص من آخر قيد كان يصده عن أن يرضى شهوته في الارتحال والطواف في مجاهل الأرض . وكان تعطيل بعث الكابتن « بوردن » وهي رحلة كانت أعدت للطواف حول الأرض ، سبباً في أن يهيم على وجهه في أوروبا باحثاً وراء تحقيق أمه الكبير . فسافر من باريس إلى مرسيليا مصطحباً « إيميه بونلان » صديقه الفرنسي الذي كان على أمل أن يصحب حملة فرنسا إلى مصر كعالم نباتي . غير أن وسائل النقل لم تكن متوفرة ، فنقلوا إلى « مدريد » عاصمة إسبانيا ، حيث وقفا على ما لم يكن ليخطر لهما على بال ، إذ عضدهما الوزير الأسباني « دوركويجور » على أن يجعلوا أمريكا الأسبانية مسرحاً لأبحاثهما واستكشافهما .

وسافرا في السفينة « بزارو » من « كورانا » في ١٥ يولية سنة ١٧٩٩ فطافا في سمرتهم بتترييف وتسلقا القمة العليا منه . ووصلا في رحلتهم إلى كوبا ثم إلى جنوب أمريكا وطافا بشفاف الأورينوكو والامازون ، في مجاهل المكسيك وجبال تلك البلاد وهضابها ، ثم عادا إلى أوروبا حيث هبطا ثغر « بوردو » في أغسطس سنة ١٨٠٤ .



يمكن أن يقال بحق أن فون هوبولد قد وضع في أثناء رحلته هذه القواعد الأولية التي قام عليها علمين من أشد العلوم الحديثة علاقته بالإنسان ومدنيته ، فقد حصر همه في أكثر الأمور في البحث في الظواهرات التي كونت على الجغرافية الطبيعية والأرصاد الجوية وقد عكف أول الأمر على البحث في نسبة انخفاض الحرارة بنسبة ازدياد الارتفاع عن سطح البحر ، ووضع أثناء بحثه في الأسباب التي تحدث الزواجع الاستوائية ، أول النظريات التي اعتمد عليها فيما بعد للكشف عن السنن الطبيعية التي تحكم في التقلبات الجوية في الارتفاعات العليا . وعقب على ذلك بمقالة في « جغرافية النباتات » وضعها على الفكرة الحديثة التي قامت على درس استيطان الصور العضوية في سطح الأرض تبعا لتغاير الحالات الطبيعية المحيطة بها . واستكشف من بعد ذلك قانون ازدياد القوة المغناطيسية في الأرض من القطبين إلى

خط الاستواء وتقدم بهذا الاستكشاف الى الاكاديمية الفرنسية في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٠٤. أما عمله في الجيولوجيا فقد انحصر في درس البراكين في الدنيا الجديدة وقضى بان البراكين قد تكونت في جموعها الحديثة تبعاً للصدوع التي انابت الارض في عصورها القديمة ، وكانت تختفي تحت قشرتها الظاهرة . ولقد عمد همبولد بمدان استقر به المقام في العالم المتمددين الى مذكراته الكثيرة وملاحظاته الشتى التي جمعها خلال رحلة يعيد درسها ويكب على تنظيمها ليخرج في رحلته كتاباً وبعده رحلة قصيرة في ايطاليا انتقل الى بلده فمضى فيها سنتين ونيف هبط بعدها باريس سنة ١٨٠٨ واتخذها مقراً لبحائه العامة ليكون على مقربة من علماءها الاعلام فيستعين بهم على فهم كثير من الحقائق التي جمعها أثناء رحلته . ولقد خيل اليه انه يستطيع ان يتم كتابه الكبير في عامين أو ثلاثة اعوام ، ولكن خاب ظنه فقد أكب على العمل فيه واحد وعشرون سنة ، وبقي بعد ذلك غير كامل .

ولقد انبالت عليه الاقارب العامة من كل مكان ، وتناست المجامع العامة والاكاويمات في ان يكون همبولد في بين أعضائها الشرفيين . ولقد حباه الملك ولیم الثالث بان عينه في وظيفة سامية في بلاطه من غير أن يحمله اعباء القيام برأجباتها وقطعه معاشاً كبيراً ضاعفه بعد قليل . وفي سنة ١٨١٤ رافق ملوك المانيا المحتدين الى لوندرا ، وبعد ذلك بسنوات ثلاث حضر مع ملك بروسيا مؤتمر « إكس لاشابل » ، ثم مؤثر فيرونا ، ثم زار معه مدينتي روما ونايولي وقتل منها ثم الى باريس سنة ١٨٢٣ . وبعد ان توفي اخاه ولهم فون همبولد ، وقد مات بين ذراعيه في سنة ١٨٣٦ غشت ايامه الاخيرة غمامة من الحزن العميق .

والغريب ان همبولد قد اجل نشر كتبه العديدة الى ان بلغ السادسة والسبعين من عمره فان الجزءين الاولين من كتابه « الكون » cosmos — لم يظهر الا في عامي ١٨٤٥ — ١٨٤٧ ولقد جال في فكره ان يخرج كتاباً يصف به العالم الطبيعي وصفاً نظرياً يقرب حقيقته في العقول ، وايكون وسيلة

يتذرع بهادارسو الطبيعة استيعاب فكرة عامة فيها قبل الاكباب على درسها ولقد ظلت هذه الفكرة تجول في خاطره نصف قرن من الزمان ، ثم بدأ في تنفيذها بمحاضرات اخذ يلقيها في جامعة برلين في شتاء سنة ١٨٢٧ - ١٨٢٨ وكانت هذه المحاضرات الاساس الذي بنى عليه كتابه الكبير « الكون » ولقد قضى عشرة الاعوام الاخيرة من عمره في انجاز كتابه الكبير الذي تص فيه حوادث رحلته وملاحظاته العامة التي درسها خلالها ، فاخرج الجزءين الثالث والرابع بين عامي ١٨٥٠ - ١٨٥٨ ونشر شطراً من الجزء الخامس في سنة ١٨٦٢ . اما هذا الكتاب فعبارة عن موسوعة عامة جمعت من حقائق العلم ومن مرغبات الاكباب عليه ومن اوصاف الطبيعة ، ما جعل للعلوم الطبيعية شأنًا لم يكن لها قبل ان يتفق عمره الطويل المنتج في درسها ووصفها .

في ٢٤ فبراير سنة ١٨٥٧ فوجيء همبولد بأزمة صرعية مرت من غير ان تترك في كيانه اثرًا ظاهرًا . ولكن قوته بدأت تتحط في شتاء سنة (١٨٥٨ - ١٨٥٩) وتوفي على اثر ذلك في ٦ مايو في سنة ١٨٥٩ بينما كان العلامة داروين مكبًا على اخراج كتابه الخالد اصل الانواع . ولقد كان لوفاته رنة حزن عميقة في نفوس العلماء في كل انحاء العالم المتعدن وامريكا ، ودفن باحتفال حافل كان من اهم مظاهره ان يستقبل ولي عهد روسيا جثمانه حاسر الرأس امام الكاتدرائية .

ولم يتزوج همبولد في حياته ، إن كانت اخلاقه ورضى صفاته تجعله من ذلك الضرب القليل الذي يجذب اليه القلوب الجامدة بله القلوب الملهبة بحرارة الاتفعال .

واحتفل بمرور مائة سنة علي ميلاده في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ احتفالاً كبيراً اشترك فيه معاهد العلم وجماعته في العالمين القدم والحديث .